المحاولات الانتحارية لدى الفتاة.
مقاربة نسقيه لأربع حالات

أ . طباس نسيمة جامعة وهران

مقدمة:

إنّ ظاهرة الانتحار لا يمكن اعتبارها في هذه الآونة الأخيرة كظاهرة منفردة مرتبطة باضطراب عقلي أو حدث منفرد متعلق بتغيرات هامة في المجتمع الجزائري، إذ هناك العديد من العوامل المختلفة التي تدخل في إطار الموت الإرادي والتدمير الذاتي.

فترجع أهمية كل دراسة حول هذه الظاهرة إلى خاصيتها الغامضة المتعلقة بالرغبة في الموت ومعنى السلوك الانتحاري، لذلك نجد العديد من الباحثين الذين ساهموا في دراسة السلوكات الانتحارية وتحليلها أمثال: E. Durkheim، S. Freud (1938)، F.Davidson (1941)، فخري الدباغ (1968)، مكرم سمعان (1963) يركزون على دراسة هذه الظاهرة من حيث معناها.

و قد أشار E.Stengel (1962)، في دراسة النتائج الفردية وطويلة الأمر للمحاولات الانتحارية التي يجب وضعها في إطار محيطها الاجتماعي مع الأخذ بعين الاعتبار الردود الفعلية لهذا السلوك، وتحليله من جوانب مختلفة وليس فقط حصره في إطار رغبة التدمير الذاتي.كما نجد S.Henderson (1974)، يؤكد أنّ المحاولة الانتحارية تأتي غالبا في إطار قطع العلاقة الفردية مع شخص معين، ويوضح أنّ هذا السلوك "المحاولة الانتحارية" له قدرة وفعّالية في تغيير سلوكات واتجاهات المحيط.

ويدعم (1981) E. Durkheim القضية التي مؤداها أن الانتحار يزداد بضعف الروابط الاجتماعية في الجماعة، وبشيوع الفردية والعزلة الاجتماعية، فالروابط الأسرية تقلل من نسبة الانتحار، فكلما زادت درجة التكامل الاجتماعي انخفضت معدّلات الانتحار، كما أضاف أنّ نسبة الانتحار تقل كلما زاد حجم الأسرة وتزداد هذه النسبة بين الأرامل عنها بين المتزوجين.

أمّا (F.Davidson (1941 فيؤكد أنّ الشخص في وقت شروعه في الانتحار يكون قد فقد هدفه في الحياة، حينئذ يحدث انهيار عضوي وتصبح المراكز العصبية العليا غير قادرة على الضبط أو الاستجابة للدوافع الواردة لاختيار فعل ما، فيفقد القدرة على التخيل، وتكون النتيجة شلل القدرة الذاتية على رفض أو تجنب ما يسيء إلى حياته.

ويلخص S.Freud (1938) نظريته ، بأن المنتحر وقع فريسة لغريزة أو انفعال ذاتي عدائي (سادي) أخفق في التعبير عنه فانعكس على الداخل، على الذات ليقتلها. و أضاف (R. Litman (1970 إلى ذلك عوامل مساعدة ومهيأة مثل الوقوع في اليأس وعدم وجود يد المساعدة عند الشدائد وكذلك تخلي الناس عن المريض.

ويذهب باحثون (Norman, L. Schneiman, S. Edwin (1957 الى اعتبار الشروع في الانتحار، أو الانتحار سلوكا واحدا لا معنى لتقسيمها إلى مجموعتين مختلفتين لأنّ النية الانتحارية تختلف عند كل فرد، ومنهم من لا يقصد الموت فقط .

ويقول D. Madison (1966) أن السلوك الانتحاري معضلة لا تقبل التصنيف، فهنالك من يحاول الانتحار بإلقاء نفسه في بحر ملئ بالمخاطر، ويعتبر سلوكه انتحار، في حين أنّ الظروف والمصادفات تلعب دورا مهمّا في رجوح كفة الميزات إلى الموت الأكيد أو الشروع أو العدل عن الانتحار.

و ركز فريق باتسون (G. Bateson et al,1951) على الاتصال، وبينوا أن الاضطراب الحاصل بين الفرد ودائرته الاجتماعية يؤدي إلى ظواهر نفسية

متعددة، وأنّ نوع العلاقة تلك تحددها الثقافة الاجتماعية والبيئة المحلية. فالانتحار هو إحد الظواهر النفسية الناتجة عن هذا الاضطراب، فكأنّ لغة "التخاطب" بين الفرد وجماعته أصبحت عن طريق "الانتحار أو الشروع فيه" ولعل هذه اللغة المحزنة هي آخر ما في الجعبة من وسائل التواصل والتفاهم، ومع ذلك فإنها رسالة لا بد أن تتلقى لها جوابا من المحيط، هو جوانب قد يكون متأخرا، وقد يكون رحيما متفهما، أو اشدّ عنفا وقمعا، ولكن السلوك الانتحار في جميع الأحوال هو "لغة توصيل" على المجتمع أن يفهمها ويحلّ رموزها، وترمي هذه الرسالة إلى إعادة النظر في العلاقات الاجتماعية.

الإشكالية:

تعتبر الأسرة من بين الأنساق الإنسانية، التي تلعب دورا رئيسيا في تشكل وتكوين شخصية الفرد، وفي نموّ معرفته لذاته، فكلما كانت العلاقات الأسرية إيجابية وتسير في مسارها الطبيعي، كلما ساد جو الأسرة الوفاق والترابط والتماسك بين أعضائها، أمّا إذا حدث العكس، وأختل التوازن الداخلي للأسرة في تقسيم الأدوار والمكانات بوجود أفراد تولى لهم السلطة الكاملة والسيطرة، كالتي يمارسها الأب أو الخضوع كتلك التي تمارسها الأم وباقي الأبناء بحيث يتميز النظام العائلي باستعمال أساليب التوجيه والتأديب القاسية كنموذج للتعامل والاتصال مع باقي أفراد العائلة، و هذا قد يعود عليهم بآثار سيئة تمس كيانهم النفسي وتوافقهم الاجتماعي بوجه عام.

فالفتاة المحاولة للانتحار باعتبارها المفحوص المحدد هي أحد أفراد العائلة التي تعتبر أكثر تأثرا بالعلاقات الزوجية، وباختلال الاتصال بين أفراد النظام العائلي، فالمحاولة الانتحارية ما هي إلا رسالة معبرة عن محاولة للتنفيس وامتصاص معاناة عائلية، وتوضح V. Satir (1971)، بأن السيرورات العلائقية المضطربة هي التي تتمحور حول تلك العلاقة القائمة بين الفرد الحامل للعرض (هنا نشير أن العرض يتمثل في محاولة الانتحار) ومحيطه العائلي.

ويرى العديد من الباحثين أمثال: P. Watzlawick (1972) و D. Jackson أنّ كل سلوك وليس فقط الكلام عبارة عن اتصال، حيث انه هناك تأثير متبادل بين الأشخاص، فالسلوك الانتحاري هو الاتصال غير اللفظي، وما هو إلاّ نتيجة لاستحالة التعبير وترجمة الاضطراب الذي يسود الأسرة.

ويعد الاتصال ذو خاصية تفاعلية، حيث أنّ الأفراد أثناء اتصالهم ضمن محيطهم العائلي يتضمن تأثيرا متبادلا على سلوكاتهم سواءا بالإيجاب أو السلب.

ويختلف عدد الانتحار والمحاولات الانتحارية باختلاف الجنس ومن فئة عمرية الأخرى وعلى هذا الأساس ارتأيت في البحث الحالي إلى معالجة هذه الظاهرة الإنسانية لدى الفتيات العازبات باختلاف أعمارهن، فكان من المناسب استعمال المقاربة النسقية للتعرف على جوهر المشكلة، فالصراع النفسي الداخلي للفتاة المحاولة الانتحار، يعود إلى صراع ضمن النظام العائلي الذي تنتمي إليه، فالمحاولة الانتحارية هي بمثابة العرض للتعبير عن صراعات عائلية ومشاكل الاتصال، وعلى ضوء ما تم عرضه، فإن السؤال الأساسي الذي يتمحور حول ماهية تأثير الاختلاف الوظيفي للاتصال ضمن العائلة في انتقال الفتاة إل محاولة الانتحار .

الفرضيات:

يمكن لنا بعد هذا العرض، وضع الفرضيات الآتية:

1- إنّ عملية الاتصال غير السليمة في المجال الأسري تدفع بالفتاة إلى محاولة الانتحار.

2- إنّ الصراع داخل النظام العائلي يؤدي بالفتاة إلى محاولة الانتحار.

تحديد المفاهيم:

1- **الاتصال العائلي:**

يعتبر *باتسون* (G.Bateson,1951) أنّ الاتصال بين المتحدثين لا ينحصر فقط في الاتصال اللفظي، إذ هو صيرورة تعدّ أكثر تعقيدا، أين نجد السلوك الجسدي والإشارات و الحركات الإرادية وغير الإرادية. فالاتصال كل

مدمج صيرورة اجتماعية دائمة تجمع نماذج مختلفة للسلوك كالكلام، الإشارة، الملامح، النظر، المكان وبذلك فإن الاتصال بين الأشخاص يتضمن تأثيرا متبادلا على سلوكاتهم، فميزة التفاعل تعد شرط ضروري لعملية الاتصال.

2- النسق العائلي:

يشير مفهوم النسق إلى مجموعة العناصر المتفاعلة بشكل مستمر، وأي تغيير في عنصر من العناصر يؤدي إلى تغيير الكل، ويتميز النسق بالخاصية الديناميكية عكس المفهوم الثابت للبنية.

أمّا خصائص النسق حسب *واتسزلاويك* (1972: P. Watzlawick) فإنها عبارة عن كيفية الاتصال بين عناصره، ولهذا يشار إلى النسق العائلي بأنّه مجموعة الأفراد الذين هم في تفاعل دائم، وأن سلوكات الفرد (أ) تؤثر في سلوكات الفرد (ب)، وردود الفعلية لفرد (ب) تؤثر بدورها في سلوكات الفرد (أ)، أي كحلقة تفاعلية تضم الردود الفعلية المتبادلة بين أفراد النسق العائلي.

3- العائلة:

يعرفهاD.Jackon (1977) هي عبارة عن نسق مسير بواسطة قواعد حيث أن أعضائه يتعاملون فيما بينهم بطريقة متكررة ومنظمة هو نمط تفاعلي يحرك العائلة كلها. L.Sfez (1993 :29). أمّا S.Minuchin (1950) فيرى أنّ العائلة هي عبارة عن نظام سوسيو ثقافي في تحوّل وتطور يتجاوز مجموعة من المراحل التي تتطلب إعادة بناء لحفظ الاستمرارية ويسمح بالنمو السيكو اجتماعي لكل فرد (263: 1950) S Minuchin.

4- الانتحار:

يعرفّه (J. Baechler 1981) هو كل سلوك يحاول الفرد من خلاله البحث وإيجاد الحل للمشكل الموجود بإنهاء حياته (14: 1981) J. Védrine et coll.

أما مكرم سمعان (1963)، فيعرف السلوك الانتحاري أنّه سلسلة الأفعال التي يقوم بها الفرد محاولا تدمير حياته بنفسه، دونما تحريض من آخر أو تضحية لقيمة اجتماعية ما.

5- محاولة الانتحار:

اعتبرت حسب تعريف *شنايدر*(E.Schneider,1954) انتحار فاشل J.Wilmotte et coll (1986:12-13) ، أما S.Henderson، فيشير إلى أن المحاولة الانتحارية غالبا ما تأتي في إطار قطع العلاقة الفردية مع شخص آخر. (S.Henderson. 13: 1974)

أهمية الدراسة:

يعتبر التطرق إلى نمط الاتصال والتفاعلات بين أفراد العائلة الجزائرية للفتاة المحاول الانتحار خطوة ذات أهمية بالغة في سبيل فهم ظاهرة المحاولات الانتحارية التي تبدوا أنها في تصاعد مستمر في الآونة الأخيرة، ولا سيما لدى فئة الإناث بمختلف أعمارهنّ (حسب إحصائيات المسجلة بمصلحة الاستعجالات الطبية بوهران سنة 2004-2006).

كما أنّ المقاربة المستعملة في تحليل السلوك الانتحاري لدى الفتيات العازبات، تعد عاملا مهما في التعرف على تركيبة الأسرة الجزائرية ومعاملتها اليومية بين أفراد النظام العائلي، فنتمكن من ضبط اضطراب عملية الاتصال واختلاله العلائقي الذي يكون كفيل بلجوء الفتاة العازبة التي تنتمي إلى هذا النظام العائلي للمحاولة الانتحارية.

أمّا عن أهمية الدراسة من الناحية العيادية التطبيقية فتمثلت في جمع كل أفراد العائلة لهذه الفتاة المحاولة الانتحار الذين يعيشون معا، بما فيهم الراشدين والأطفال كوحدة أسرية ، فيتمكنوا من إدراك سلوكاتهم غير التكيفية أي ما يسمى بالوعي بالأخطاء المستعملة في الأساليب التعاملية و المظاهر التفاعلية وتصحيحها أو التنازل عنها.

فتح مجال الاتصال والتحاور مع الأخصائي النفساني، فكثيرا ما يفتقد النظام العائلي لهذه الفتاة إلى عملية الاتصال السليمة أو بما تتميز به من اضطراب العلائقي، فعن طريق الإصغاء يمكن استرجاع أمور عديدة وذلك بإعادة تأطير الوضعية التي يعيشونها والتي يرونها كمشكلة مؤثرة في النظام العائلي.

القيام بمحاولة علاجية نفسية نسقية بالعمل على إعادة الاتزان النفسي المرتكز ليس فقط على مستوى الفتاة المحاولة للانتحار وإنّما يمس كذلك جميع أفراد العائلة، فتكون كتجربة أولية ممهدة لتطبيق العلاج النسقي في دراسات لاحقة على عائلات جزائرية، والتي تعاني من صراعات عائلية واضطرابات في عملية الاتصال.

الإجراءات المنهجية:

1- **المكان الجغرافي للبحث:** لقد تمت الدراسة العيادية للحالات الأربعة في مصلحة الاستعجالات الطبّية بولاية وهران: U.M.C وهذا بعد اللقاء الأولي معهم في نفس الجناح، بعد قيامهن بمحاولة الانتحار.

2- **عينة البحث:**

2-1 العدد: تكونت عينة البحث من أربعة حالات محاولة للانتحار، من بينهم حالة قد حاولت الانتحار بتناولها للحبوب السامة لقتل الفئران Raticide أمّا الحالات الثلاثة الأخرى، فإن وسيلة تنفيذ المحاولة الانتحارية تمثلت في استعمال الأدوية التي كانت متواجدة بمنزل الحالات.

2-2 طريقة اختيار عينة البحث: لقد كانت الطريقة قصدية في اختيار الحالات العيادية، بمعنى الحالات التي تنتمي إلى نظام عائلي يتميز باضطراب العلائقي واختلال الوظيفي لعملية الاتصال.

2-3 مواصفات عينة البحث: تكونت عينة البحث من أربعة حالات عيادية محاولة للانتحار، من جنس الإناث فقط، أمّا عن سن الحالات، فلم يتم تحديده مسبقا، نظرا لصعوبة قبول عائلاتهن للمجيء من أجل المتابعة النفسية، فكل ما يهمنا هو الحالة المدنية لهن "عازبات" والأمر يرجع إلى ضرورة التقرب من النظام العائلي والتعرف عن المظاهر التفاعلية له.

وبعد اقتناع الحالات للتعامل معنا، تراوح بذلك سنهن ما بين 16 سنة- 21 سنة- باختلاف مستواهم الدراسي، أمّا المستوى الاجتماعي والاقتصادي، فقد كان

في مجمله حسن، بالنسبة لجميع أسر الحالات المحاولة الانتحار أمّا فيما يخص عدد أفراد العائلة لدى الحالات فقد كان محصورا ما بين 4 إلى 5 أفراد.

أدوات جمع المعطيات:

إن الدراسة العلمية تمحورت حول ظاهرة المحاولة الانتحارية لدى الإناث التي نسعى من خلالها إلى وصف المظاهر التفاعلية والعلائقية ومدى اضطرابها ضمن الأنساق العائلية التي تنتمي إليها هذه الفتيات، فإن الأمر استلزم دراسة عيادية بإتباع المنهج العيادي الذي يركز على دراسة الحالات الفردية بمختلف وسائل جمع البيانات المستخدمة في البحوث النفسية التي تمثلت في الملاحظة العيادية والمقابلة العيادية، إلى جانب استخدام الاختيار الإسقاطي المتمثل في اختيار تفهم الأسرة، واستنادا إلى ذلك يمكن لنا عرض التعاريف الآتية:

المقابلة العيادية حسب C.Chiland (1995):

"هي عبارة عن تبادل الحوار، تبادل معقد للألفاظ، التي من خلالها يمكن تمرير الرسالة ، و عموما فإن الاتصال اللفظي يكون دائما مصحوبا باتصال غير لفظي هذان نموذجان قد ينسجمان، و قد يتناقض الواحد مع الآخر". Chiland (1995 :22)

وبما أنّ الإطار النظري للبحث تمحور حول المقاربة النسقية، فقد خصصت سبعة حصص ثلاثة منها للتعرف على النظام العائلي للحالة المحاولة للانتحار، أمّا باقي المقابلات العيادية، فكان الهدف منها الوصول إلى تشخيص الاضطراب في عملية الاتصال لدى هذه العائلة ، ومن جهة أخرى ، بهدف تقديم السند النفسي لأفرادها مستخدمة في ذلك الطريقة الخاصة لرائد من رواد المدرسة النسقيةP. Watzlawick، والتي سوف نعرض لمحة وجيزة عنها:

التقنية العلاجية: لقد تم استخدام تقنية علاجية تتناسب مع المرجعية النظرية المستعملة، فحسب الباحث النسقي P.Watzlawick (1975)، فإنها تشمل على أربعة مراحل، لكل حصة عنوان خاص بها ويمكن استخدام في ذلك عدد من القواعد مثل: التكلم بلغة المفحوص، عدم الدخول في صراع معه، واستعمال

التناقض كوسيلة للعلاج النفسي، وبالتدرج نتوصل إلى إقناع أفراد النظام العائلي بما فيهم الحالة المحاولة للانتحار بالتنازل عن المظاهر التفاعلية السلبية واستبدالها بعلاقات أكثر إيجابية.

كما يجب على الأخصائي النفساني النسقي الاقتراب من العائلة حسب عاداتها، وهذا ما وصفته F. Rougeul (1989) بأسطورة العائلة، حتى يكون التدخل حسب خصائص النسق الذي تمتاز به هذه العائلة فتكون التوجيهات مألوفة وملائمة للنظام العائلي، ويمكن التعرف على الحدود العلائقية ضمن العائلة والتعرف كذلك على الأدوار والوظائف التي يقوم بها كل فرد، كما تشكل هذه الأخيرة هوية العائلة.

إن هذه التقنية العلاجية النفسية تمت خلال أربعة حصص علاجية نفسية بتواريخ مختلفة ولمدة 45د للحصة الواحدة وكان اختيارها للأسباب الآتية:

- كونها تلائم أكثر الموضوع المتناول
- تحقق مبتغاها من إعادة الانسجام داخل النظام العائلي واسترجاع نوع من الاتزان النفسي بين أفراد هذه العائلة.
- الحصول على تغيير التفاعل في أقصر مدة ممكنة.

تعريف إختيار فحص الهيئة (الصحة) العقلية L'examen de statut Mental

لقد صمم هذا الاختيار الدكتور: نصرة قويدر (1978) حيث يركز هذا الفحص على ملاحظة الاستجابات السلوكية التلقائية اللفظية منها والحركية، بما في ذلك من معلومات حول محيط الفرد، ويحتوي على:

- النشاط الفكري
- الميزاج والعاطفة
- محتوى التفكير
- القدرة العقلية
- الحكم والإستبصار

تعريف إختيار تفهم الأسرة: F.A.T

يعتبر اختبار تفهم الأسرة من بين الاختيارات الإسقاطين، إذ يتضمن مجموعة لوحات، تقدر بـ 21 لوحة التي تشكل أحداث لوضعيات، ونشاطات عائلية يومية، وتتطلب تداعيات إسقاطيه حول سيرورات، وبنية العائلة، كل ذلك في إطار التفاعلات العائلية.

ويجب أن تقدم كل اللوحات للمفحوص، حيث يستغرق التمرير الكلي للوحات ما بين 30د –35د، ويمكن إستعماله ابتداءا من 6 سنوات، وان التجربة العيادية بينت ضرورة إستعمال هذا الاختبار للمراهقين والراشدين.

تعليمة الاختيار:

تتمثل تعليمة الاختيار بالنسبة للمراهقين، اقل من 18 سنة فيما يلي:

"لدّي مجموعة من الصور، التي تظهر أطفال وعائلاتهم، سوف أعرضها عليك الواحدة تلوى الأخرى، وما عليك إلا أن تقول لي ما ذا يحدث في كل صورة، وما الذي أدى إلى هذا الحدث، وماذا يفكر هؤلاء الأشخاص، و ما هو شعورهم، وكيف يمكن أن تنتهي القصة، استعمل في ذلك خيالك، وتذكر بأنّه لا توجد إجابة حسنة وأخرى سيئة، وسف أقوم بتسجيل الإجابات كي أتذكرها".

مع تغيير الجملة الأولى في حالة استخدامه بالنسبة للأفراد الراشدين: " لدي مجموعة من الصور التي تمثل عائلات" ومن أجل إيضاح تعليمات الاختيار، التي قد تبدو غامضة بالنسبة لبعض الأفراد، فإنه توجد أسئلة إضافية، عند ما تكون القصة ناقصة، وذلك للحصول على أجوبة كاملة وهي كالأتي:

1. ماذا يحدث؟
2. ماذا حدث مسبقا؟
3. ماذا يشعر هذا الفرد أو هذه الفتاة؟
4. عما يتحدثون؟
5. كيف تنتهي القصة؟

وأن اختبار تفهم الأسرة الـFAT يتطلب فهم دقيق للنظريات النسقية، ذلك لضبط مفاهيم هذه النظرية، فالتوجه النسقي يضع العلامة حول العلاقة أكثر من اهتمامه بالأبعاد السيكوديناميكية أو الفردية.

ونجد فئات الاختبار تدور حول التساؤلات المنطقية المعبرة عن نموذج عام للنظام العائلي، وهذه الأسئلة موزعة ضمن أربعة مفاهيم نسقية وهي: الصراع الظاهر، حل المشكل تعريف بحدود النماذج العلائقية، وبالتالي يمكننا هذا الأخير من ضبط مظاهر التفاعلات، وسيرورة الاتصال، التي تدور ما بين أفراد العائلة، المحاولة للانتحار، ومدى تواجد صراعات ما بين الأفراد، وكيفية مواجهة العائلة للمشاكل التي تعترضها.

عرض النتائج ومناقشتها:

1- النتائج:

اتضح من خلال الدراسة العيادية النسقية لعائلات الحالات الأربعة أنّها تتميز بالمظاهر التفاعلية التالية:

- تسلط الأب وسيطرته في تطبيق أوامره وخضوع الزوجة له، وافتقار النظام العائلي إلى المساندة مع كثرة الردود الفعلية السلبية والاتصال عن طريق السلوك غير اللفظي أي باستعمال العرض كوسيلة للاتصال مع المحيط العائلي . وهنا نجد كل الحالات الأربعة قدمت محاولة الانتحار، ومعاناة باقي أفراد النظام العائلي من أعراض جسدية كالآلام، الصداع ضمن هذا الجوّ العائلي المشحون بالصراعات العلائقية.

معاناة أبناء هذه العائلات من صعوبات دراسية، الإنعزال التبعية التامة للمحيط العائلي.

- بعد قيام الحالة بمحاولة الانتحار وعودتها إلى البيت، فإنّها تتلقى معاملات قاسية من طرف أفراد النظام العائلي، إلى جانب تحسيسها بالذنب كونها المسؤولة عن المشاكل ضمن العائلة.

- كما أنّ المقاربة النسقية سمحت لنا بإبراز خصوصية الأنساق العائلة الجزائرية للحالات الأربعة المدروسة.

- أمّا بالنسبة لفرضية البحث الأولى التي مؤداها أنّ مشكل الاتصال يؤدي بالفتاة إلى محاولة الانتحار، فلقد تم إثباتها بعد تحليل المظاهر التفاعلية لعائلات هذه الفتيات، حيث نجد أنّ هذا النظام العائلي يتميز بمعاقبة الأبناء عند ارتكاب الأخطاء بأسلوب غير ملائم، الضغط عليهم إضافة إلى استحالة المناقشة أمام تصرفات أفراد العائلة، ففي غياب الاتصال اللفظي يقابله اللجوء إلى العقاب، إلى جانب سوء الفهم وعدم الإصغاء سواءا من طرف الأب أو الأم، فهذه الخصائص أو المؤشرات تدل على اختلال في عملية الاتصال أي ما يسمى بـ خطأ في ترجمة الرسالة Erreur de traduction de message.

- و لقد تبين من خلال تمرير اختبار تفهم الأسرة، أن الجو الأسري السائد لهذه الحالات، تميّز بغياب المساندة وكثرة العوامل المقلقة.

- فيما يخص فرضية البحث الثانية التي مفادها أن الصراع العائلي يؤدي بالفتاة المتواجدة ضمن هذا النظام إلى المرور لمحاولة الانتحار، فقد ثبتت هذه الأخيرة من خلال النتائج المتوصل إليها، إذ تبين أنّ النظام العائلي لدى الحالات الأربعة مشحون بالصراع العائلي والمظاهر التفاعلية السلبية سواءا ما بين الوالدين، وهذا ما أثر على التوازن النفسي لهذه الحالات فمن خلال تحليل اختيار تفهم الأسرة، نجد أنّ القصص كانت مشحونة بانفعالات معبرة عن التوتر، الخوف، الغضب و الشعور بالملل أمام هذه الوصفيات اليومية.

مناقشة النتائج:

لقد أوضحت نتائج البحث الحالي ما توصل إليه M. Benfredj L. Gaha (1984/1983) بتونس، أنّ من بين الأسباب المؤدية للانتحار تمثلت في الخلافات العائلية وتواجد الصراع العلائقي، حيث بلغت النسبة 35%، مقارنة مع أسباب أخرى، كالخلافات الزوجية بنسبة 20%، أما الأمور العاطفية فقد بلغت 15% والأسباب الدراسية والمهنية لا تحقق سوى 10% هذا ما أشار إليه بركات

(1975) الذي يرجع المحاولات الانتحارية إلى عوامل عائلية وإلى كثرة الضغوط الأسرية والرقابة الصارمة.

و من خلال النتائج المتوصل إليها والتحليل الدقيق للحالات الأربعة، فإنه يوجد تقارب مع ما أتى به *مورون* (Moron, 1975) في دراسة له، حيث لا حظ أن صراع الفرد مع أحد الأفراد المقربين له، كالأبوين، الإخوة، الأخوات، عامل مهيء للمرور إلى تنفيذ السلوك الانتحاري. (Moran, 1975 :48)

ويؤكد *كاشا* (Kacha, 1979) أن هناك عوامل تساهم في إقدام الأبناء على المحاولات الانتحارية والتي كانت من بينها العوامل التي أدت بالحالات المدروسة في بحثنا الحالي إلى المحاولة الانتحارية، وتمثلت في سوء التفاهم المستمر أو الشجار الدائم بين الوالدين إلى جانب ما بينه *حالايام* في دراسته أن الشباب المحاولين للانتحار قاسوا كثيرا من عدم تفاهم الوالدين(Halayem 1986: 210)

و قد بينت الدراسة النسقية الحالية لعائلات الحالات الأربعة، ما أشار إليه *بوروت* أن أسر محاولي الانتحار تتميز عادة بالشجار المتواصل بين الوالدين أو الضرب المتبادل (Porot,1968 : 352) .

وتتقارب نتائج البحث مع ما أكّده *أدام* (F. Adam, 1981) بوصفه لعائلات الشباب المحاولين للانتحار التي تتميز باختلال التوازن داخل الأسرة كاللامبالاة، عدوانية من طرف الأب أو الأم، الإفراط في الاهتمام.

كما أوضحت دراسة كل من *فيليب* و *دافيدسون* (1973) أن غالبية الشباب المحاولين للانتحار ينتمون في غالب الأحيان إلى عائلات متفككة، غير أن هذه الدراسة أوضحت أنّ عامل حجم الأسرة أي عدد الإخوة لا يبدوا كعامل مؤثر، وهذا ما كان من خلال هذه الدراسة الحالية. (Davidson et Philippe 1986: 48-49) كما تتقارب نتائج الدراسة الحالية مع ما أوضحه *باربو* (Barbaux 1964 : 20-22) أن الحرمان من حب و حنان الوالدين يلعب دورا مهيئا لمحاولات الانتحار. فالجو الأسري الذي تعشيه الحالات الأربعة المدروسة هو ما وصفه كلّ من *فيليب* و *شوكي* (Philipe & Choquet, 1986 :108-109) في

دراسة لهما أن الأفراد المحاولين للانتحار يعانون من سوء الفهم من قبل الأولياء، وهناك إفراط أو تفريط في التعامل معهم، كما أن تصرفات أفراد المحاولين للانتحار قد تميزت باللامبالاة والقساوة كما أظهرت الدراسة الحالية ما جاء في دراسة العديد من الباحثين أن محاولات الانتحار تأتي نتيجة لعوامل بيئية بشكل عام وأسرية على وجه الخصو ، إذ أن معظم المحاولين للانتحار ينحدرون من أسر متصدعة بالطلاق أو الانفصال وتكثر فيها الخلافات والمشاجرات وينعدم فيها الهدوء والاستقرار والتفاهم، الأمر الذي يجعل الأبناء يفتقرون إلى توجيه الوالدين الملائم الذي يساعدهم على مواجهة مشكلات الحياة ومصاعبها (Cordeiro, 1975 : 69-70).

وقد أشارت دراسة *مولامب* (F. Moullembe, 1974 : 931) إلى ما جاء في تحليل قصص اختبار تفهم الأسرة للحالات الأربعة أن الشجار بين الوالدين اتسّم بالكثرة في المقدمين على الانتحار وتتوافق نتائج الدراسة الحالية إلى ما توصل إليه مكرم سمعان (1964) في دراسته للسلوك الانتحاري بمصر، أن أكثر الأسباب تكرار كان سببها الصراع بين الآخرين كالصراع بين الزوجين أو مع الوالدين أو التوبيخ الشديد (مكرم سمعان ، 1964: 202).

وبعد التحليل النسقي لعائلات الفتيات المحاولات للانتحار وجدت أن هذه العائلات تتميز بالافتقار إلى الدفئ العاطفي وسوء التوجيه التربوي بالإضافة إلى أساليب التربية القاسية القائمة على الضرب والتوبيخ، كنموذج للتعامل مع الأبناء وهذا ما يتلائم مع ما جاء به *بوروت* و فريقه (Porot et al, 1968) في دراسة لهم.

ومن خلال ما تم دراسته في هذا البحث وانطلاقا من النتائج المتوصل إليها فإن عائلات الفتيات المحاولات للانتحار قبل لجوئهن إلى تنفيذ المحاولة الانتحارية قد حاول أفراد هذا النسق العائلي الاحتفاظ به في حالة مستقرة والتخفيف من الوضعية والصعوبات العائلية بأن تكون هناك ردود فعل سلبية Principe de Rétroaction كخضوع الزوجة ومساندتها لزوجها عند اتخاذ

قراراته اتجاه الأبناء مهما كانت طبيعة هذه القرارات وموافقتها على الدور الذي تمثله ضمن هذا النظام في مسايرتها للأمر حفاظا على الثبات والاتزان الداخلي لهذا النسق العائلي Principe d'homéostasie.

غير أن الفتاة عند قيامها بالمحاولة الانتحارية فإن هذا الفعل يكون تعبيرا عن رد فعل ايجابي Rétroaction positive . و حسب المقاربة النسقية فإن هذا الرد يؤدي إلى تفاقم الظاهرة بالكشف عن معاناة كانت كامنة لدى العائلة كوحدة.

وأثناء محاولة أفراد هذا النظام العائلي الاتصال فيما بينهم يكون عندئذ الاتصال اللفظي كمحرك للصراع والشجار وسوء الفهم، وهذا راجع حتما إلى خطأ في تفسير الرسالة غير اللفظية إلى رسالة لفظية أين نجد خلط بين محتوى الرسالة وطبيعة العلاقات، كون أن التفسير يكون حسب المعنى الذاتي لدى كل فرد من هذا النظام .

وبعد قيام الفتاة بالمرور إلى الفعل الانتحاري نجد أفراد العائلة يغتنمون الفرصة للتعبير عن معاناتهم واستحالة استمرارهم للعيش في هذه الوضعية، فيكون الطلب للدعم والسند النفسي كامنا، على أن هذه الفتاة هي التي فقدت اتزانها النفسي وهي بحاجة إلى مساعدة نفسية، فكثيرا ما نجد من خلال المقابلات العيادية تعبير الأم عن عجزها للتوافق أمام هذه الظروف بشعورها بالإرهاق النفسي والعصبي وإحساسها بالصداع، أما الأب فيحدث له نوع من الكف في التعبير عن أحاسيسه لفظيا، فتظهر عليه ملامح الغضب والتوتر وهذا ما أكدته *روجال*(Rougeul , 2003: 15) "ان العرص لا يعدو قصية فردية، فهو تعبير على اختلالات الوظيفة الاسرية التي يبدو فيها الفرد حاملا لصغوطات النظام" . و كنتيجة لذلك نجد هذه الأنظمة العائلية الأربعة تتميز بنقص الاتصال اللفظي واضطرابه في غالب الأحيان ولجوء أفراده إلى الاتصال غير اللفظي أي Le Non-dit، كلجوء الفتاة إلى المحاولة الانتحارية، أمام تكرار الوضع وشدة الضغوط في غياب المناقشة وانعكاس ذلك على توافقهم الاجتماعي بظهور صعوبات دراسية و انعزال عن العالم الخارجي وعدوانية

لفظية عند الاتصال فيما بينهم وسحب ثقتهم من المحيط و سيطرة مشاعر الاكتئاب و الإحباط على أفكارهم.

واستنادا إلى ذلك فإنه يتضح جليا أن الاضطراب الذي تعانيه الفتاة المحاولة للانتحار ومهما كانت نيتها في تحقيق الموت ، فإن فقدان الاتزان النفسي لديها يعتبر مؤشرا عن تواجد مشكل علائقي في العائلة . و هذا الاضطراب لا ينسب الى الفتاة حيث يؤكد ذلك *واتزواليك* (P. Watzlawick, 1972 :40) أن العرض أي المحاولة الانتحارية لا يظهر كنتيجة لصراع غير معالج بين قوى نفسية داخلية وإنما يظهر بتكرار وضعيات التفاعل.

خلاصة عامة:

من خلال ما تم التوصل إليه من نتائج، في هذه الدراسة العيادية المسومة بـ "المحاولات الانتحارية لدى الفتاة مقاربة نسقية لأربعة حالات" ، فإنّه يمكننا استخلاص مايلي:

تقديم المتابعة النفسية للحالات المحاولة للانتحار التي تعد ضرورة لتجنب تكرار السلوك الانتحاري ربما بوسيلة أكثر خطورة، وعدم التقليل من خطورة السلوك الانتحاري مهما كان بسيطا، وعدم إهمال رغبة الحالات في تحقيق الموت حتى ولو كان هناك سببا يظهر كدافع أساسي ومحرّك لقيام الفتاة بهذه المحاولة ، إلى جانب توعية العائلات بضرورة وأهمية العلاج النفسي العائلي، وإشراك العائلة أو بعض أفرادها في العملية العلاجية النفسية بغية إعادة تأطير للوضعية الحالية التي يعيشونها، ثم العمل على تغيير بعض المظاهر التفاعلية السلبية والوصول إلى حل بسيط للمشكل المطروح، إضافة إلى معالجة اختلال الاتزان النفسي لدى هذه الحالات المحاولة للانتحار في إطار المحيط الأسري دونها حصره في التكوين النفسي للحالات كما ينبغي اختصار مدة العلاج النفسي في حصص محددة كي يتسنى للحالات المحاولة الانتحار القدرة على متابعة العلاج دون إغفال معتقدات الأسرة وقيمها والذي يعد شرط ضروري للاستمرارية العلاج النفسي العائلي المختصر.

المراجع:

1. مكرم سمعان (1963)، مشكلة الانتحار– دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري بالقاهرة دار المعارف، مصر.

2. فخري الدّباغ (1968)، الموت اختيارا – دراسة نفسية اجتماعية موسعة لظاهرة قتل النفس، بيروت، ط1، دار الطبيعة.

3. محمد علي (1983) ، مفكرون اجتماعيون - بيروت ، دار النهضة العربية.

4. مصطفى بوتفنوشت – العائلة الجزائرية – التطور والخصائص الحديثة – ديوان المطبوعات الجامعية 1984.

5. Addi. L(1999), *les Mutations de la Société Algérienne, Paris, éd la Découverte*

6. Adam. **F** (1999), *suicide et culture, Paris, éd l'Harmattan*

7. Boutefnouchet . **M** (1905), *système social et changement social en Algérie, éd Alger*

8. Colette . **CH** (1995), *l'entretien clinique*

9. Claude .**B** (1999), *rencontre de Paul Watzlawick, France, éd l'Hannallan*

10. Durkeim. **E**. (1981), *le Suicide, Paris, éd PUF.*

11. Rew. **W** (2000), *pensée cerveau et culture, Paris 1er éd*

12. Edmond,.**M**. et **Dominique** .**P** (1996), *Paris, PUF L'interaction sociale*

13. Edmond .**M**. et **Dominique** .**P**. (1984), *L'école de Palo Allo communication-changement Thérapie, Paris, éd RETZ*

14. El Kaim . **M** (1995), *panorama de thérapie familial.*

15. Edmond. **G** (1993), *Dictionnaire Critique, Paris, éd ESF.*

16. Françoise . **R** (1989), *la famille en crise*

17. Regory .**B**.et **Jurgen**. **R** (1988), *communication et société, France, éd du seuil*

18. Hanus. **M** (2004), *Deuil après suicide, Paris éd Malouines.*

19. Herve. **B**.et **Khadidja**. **CH** (1999), *l'entretien clinique. Paris, 1er éd Dunod*

20. Jacques . **V** et **Olivier**. **QU**, (1981), *suicide et conduites suicidaires, Paris, éd Masson, Tome 1*

21. Jean Claude . **B** (2000), *double lien, schizophrénie el croissance.*

22. Jidith . **L** (1992), *la science de la communication, Paris, 1éd Dahlab.*

23. Khadidja . **CH** et **Herve**. **B**(2003), *Méthode évaluation el recherches en psychologie clinique, Paris, éd Dunod.*

24. Lagache . **D** (1949), *L'UNITE de la psychologie, Paris.*

Lukcien. **S** (1993) , *Dictionnaire critique de la communication, Paris, 1 éd PUF, Tome 1.*

25. Mucchielli. **A** (1995), *Psychologie de la communication , presses universitaires de France, 1 éd.*

26. Marguerite . **CH**. (2002), *Prévenir le Suicide-Clinique et Prise en charge.*

27. Maurice . **B** (1995), *le travail thérapeutique avec la famille, Paris, éd Dunod.*

28. Maurice. **P** (1979) , *l'enfant et les relations familiales , Paris, 8 éd PUF*

29. Nathalike. **S** (1993), *Dictionnaire Critique, Paris, éd ESF.*

30. Pierre. **M** (1996), *le suicide, Paris, 6 éd presse universitaire de France.*

31. Rolande . **D**. et **Françoise** . **P**. (1996), *Dictionnaire de Psychologie, éd PUF Charge, Paris, 1 éd Dunod*